

دنو الهمة

الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم



الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وبعد :
فنقول متابعة لذكر المعوقات عن إدراك المعارف
والمعلومات :

المعيق الثالث: دنو الهمة

فكن رجلاً رجّله في الثرى وهامة همته في الثرى
ولو أمكتك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم
كانوا رجالاً وأنت رجل، وماقعد من قعد إلا لدناءة الهمة
وخساستها.

واعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب ، فلا تخلد إلى
كسل ، فما فات ما فات إلا بالكسل ، ولا نال من نال إلا بالجّد
والعزم... الخ^(١).

فيا من أنس من نفسه علامة النبوغ والذكاء لا تبغ عن العلم
بدلاً، ولا تشتغل بسواه أبداً، فإن أبيت فأجبر الله عزاك في
نفسك ، وأعظم أجر المسلمين فيك ، ما أشدّ خسارتك ، وأعظم
مصيبتك .

دع عنك ذكر الهوى والمولعين به
وانهض إلى منزل عال به الدرر

تسلو بمربئه عن كل غالية
وعن نعيم لدنيا صفوه كـدّر

وعن نديم به يلهو مجالسـه
وعن رياض كساه النور والزهـر

انهض إلى العلم في جدّ بلا كسل
نهوض عبد إلى الخيرات يبتدر

بين صفوف طلبة العلم أناساً يمتلكون مواهب جليّة،
وقدرات هائلة، تؤهلهم للزعامة العلمية، إلا أن دنو همّتهم يحقّق
مواهبهم، ويزيل بهاء نبوغهم، فتجدهم يقنعون بيسير المعلومات،
ويأتفون من القراءة والمطالعة، ويتشاغلون عن الطلب والتحصيل،
وهؤلاء سرعان ما تنزع ملكية قدراتهم، وتسلب بركة أوقاتهم، ذلك
بأن كفر النعمة مؤذن برحيلها، كما أن شكرها مؤذن بمزيدها.

قال الفراء - رحمه الله تعالى - : لا أرحم أحداً كرحمتي
لرجلين : رجل يطلب العلم ولا فهم له . ورجل يفهم ولا يطلبه ،
وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم.^(١)

وقال أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - تعليقاً على
قول أبي الطيب المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كتنقص القادرين على التمام
ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه ، فلو كان يتصور
للأدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض.

ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها
في حضيض ... والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى
غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل.. إلى أن قال : وفي
الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها إلا حصلها، فإن القنوع
حالة الأرزال.

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ١/ ١٠٢ ط المنيرية.
(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٥٩ : ١٦١ . ط دار الكتب
العلمية.